الفصل الرابع

سارتر وأبعاد تربية المقاومة
"مسرحية الذباب"

أولا: الفكرة الرئيسة في مسرحية الذباب أو الندم: *Les Mouches*
ثانياً: الشخصيات الرئيسة بالمسرحية.
ثالثا: التضمين الأسطوري في مسرحية "الذباب".
رابعا: أبعاد تربية المقاومة في المسرحية.

obeikan.com

obeikan.com

يبدأ هذا الفصل بتقديم مؤجز عن الفكرة الرئيسة لمسرحية "الذباب" والتعريف بأبطالها ، وما يرمز إليه كل منهم في الواقع الفرنسي آنذاك. ثم يناقش التضمين الأسطوري للمسرحية ، والذي استوحى منه سارتر السيناريو العام للمسرحية ، وعرض الفكرة المحورية التي تدور حولها تفاصيل النص بالمسرحية ومضمونها المقاوم. ثم ينتقل إلى تحليل مضمون المسرحية وما يسفر عنه التحليل من أبعاد تربية المقاومة.

أولا: الفكرة الرئيسة في مسرحية الذباب أو الندم: Les Mouches

المسرحية دراما من ثلاث فصول كتبها سارتر عام 1943 مأخوذة عن أسطورة يونانية قديمة (أورست في أرجوس) تدور المسرحية حول "فكرة المقاومة" والتي تأصلت في فكر سارتر أثناء الحرب العالمية الثانية ومقاومة المحتل النازي وما ترتب على الحرب من مآسي وآثار مدمرة وظواهر اجتماعية مستجدة محليا وعالميا.

فمسرحية الذباب مسرحية للمقاومة وتدعيم ثقافتها أراد بها سارتر أن يسند أعمال رجال المقاومة ضد المغتصب النازي وضد القتل والتخريب أثناء الحرب العالمية الثانية (وإن كانت نهاية المسرحية قد أثارت عديد من الاختلاف في وجهات النظر وأشكال النقد) خاصة موقف بطل المسرحية المقاوم أورست حيث غادر أرجوس بعد أن قاوم وقضى على الطغاة ولم ينتظر أن يشارك في إعادة إصلاح المدينة وواجه جمهورا هائجا ومجتمعا بأسره. وكان رد سارتر بأن الجميع كان يحارب لتخليص فرنسا من المغيرين.. لكن ذلك لا يعطينا الحق في تشكيل

سياسة فرنسا بعد الحرب.. وكأنه يقرر بأنه ليس بالضرورة أن يكون رجال المقاومة هم أنفسهم صناع السياسة وأصحاب السلطة.

يقرر سارتر في مسرحية الذباب أو الندم "حرية الإنسان" ويعلق عليها أهمية عظمى. فالإنسان ليس ألعوبة في يد أية قوة تأتيه من خارجه ، والإنسان حر مستقل الإرادة... ومن ثم كان المستقبل أمامه مفتوحا يستطيع أن يشكله كما يشاء. وفي ذات هذه الحرية البشرية لعنة فادحة للإنسان ، ولكن دون هذه اللعنة لا تكون للإنسان كرامة وقد تم مصادرة المسرحية من قبل الألمان عندما فطموا لذلك في نفس الوقت الذي لم يرضى أنصار المقاومة عن تفسير المواقف في المسرحية بهذا الشكل قد غادر أرجوس ولم يبق فيها لكي يساهم في إصلاح أحوالها (القصاص ،1967 37-39). وقد قدم سارتر الرد على أوجه النقد التي وجهت لنهاية المسرحية ، والذي أشار إليها البحث من قبل.

ثانياً: الشخصيات الرئيسة بالمسرحية :

✓ **جوبيتر**: هو الشخصية المفتاح في المسرحية والذي أقام حوارًا مع أورست طوال المسرحية (إله الذباب والموت) ، وله تمثال في ميدان أرجوس له عينان بيضاوان ووجه ملطخ بالدماء.

✓ **أجاممنون**: ملك أرجوس والذي قتله إيجست واغتصب ملكه بمعاونة زوجته.

✓ **أورست (بطل المسرحية)**: ابن أجاممنون ، ورمز للمقاومة ورجالها الفرنسيين.

✓ **إلكترا**: أخت أورست (رمز للشعب الفرنسي العاجز والمنكر للمحتل).

✓ **المربي**: مربى أورست ورفيقه في العودة إلى أرجوس.

obeikan.com

✓ إيجست: ملك أرجوس وأخو الملك السابق أجاممنون ومغتصب ملكه (وهو يعبر عن المغتصب النازي كما يقدمه سارتر).

✓ كليتمنسترا: الملكة الخائنة صاحبة الملك إيجست (وزوجة الملك أجا ممنون) ووالدة إلكترا وأورست ، (وهي تعبر في المسرحية عن الفرنسيين الخائنين الذين كانوا يمدون المحتل بالمعلومات عن المقاومة).

✓ أرجوس (مدينة يونانية): مسقط رأس أورست ، وهي رمز لفرنسا المحتلة.

هذا وإذا كانت المسرحية في مضمونها تربية للمقاومة فإنها رسخت مجموعة من الأفكار تدور في فلك تلك التربية وهى: الحرية .الالتزام .المسئولية وغيرها ، مما يسفر عنه التحليل الكيفي للمسرحية.

ثالثا: التضمين الأسطوري في مسرحية "الذباب".

اعتمد جان بول سارتر في مسرحية الذباب أو الندم على التضمين الأسطورى لمأساة أورست التي كتبها في ثلاثة فصول عن باعث التراجيديا اليونانية "إسخيلوس" **وجاءت تلك الثلاثية كالتالى:**

مسرحية "أجا ممنون" ، ثم مسرحية "حاملات القرابين" ثم مسرحية "الصافحات".

أ- في مسرحية "أجا ممنون" تدور حول عودة البطل "أجا ممنون" فاتح طروادة إلى أرجوس حاضرة ملكه بعد عشر سنوات من الغزو والقتال ، ليجد زوجته الخائنة "كليتمنسترا" قد اتخذت "إيجيست" عشيقًا لها ، ونفت ولدها "أورست" من البلاد ، ثم اشتركت هذه الملكة الخائنة مع "ايجست" في الفتك بزوجها يوم عودته في قمة انتصاره.

obeikan.com

ب- وفي مسرحية حاملات القرابين دارت الأحداث حول كيفية أن الإله "أبولو" رب الشمس وقارئ الغيوب ، أوحى إلى الفتى أورست أن يعود إلى "أرجوس" لينتقم لأبيه القتيل ، وكيف قتل أورست بسيفه الملك مغتصب الحكم والأم الخائنة ، ورماهما في الجحيم.

ت- وفي مسرحية "الصافحات" نرى محنة أورست ، فبعد أن قتل الفتى أمه حاصرته ربات العقاب لتنهشه ، وأطبقت على عقله سحابة الجنون ، فقتل الأم مهما كان عدلا لم يرد في شريعة السماء ، ويستنجد بالإله "أبولو" ليغيثه ، ولكن ربات القصاص يطالبن بدمه وتعقد له محاكمة أمام شيوخ أثينا ، ويترافع عنه أبولو ببليغ الكلام ولكن صوت الزبانية كان أقوى بلاغة ، وحين يؤخذ القرار في شأن جريمته ، تتعادل أصوات القضاة ، فإذا ستة منهم في جانب التبرئة وستة في جانب الإدانة ، وهكذا تعجز عدالة الأرض عن الحكم في هذه الجريمة النكراء وهنا تتدخل الربة أثينا فتدلى بصوتها في جانب التبرئة ، وهكذا تكتمل الدورة المأسوية الأبدية: الجريمة ثم العقاب ، ثم الغفران ، ولكن من الجرائم مالا يمحو وزره إلا لطف السماء.

وتحمل مسرحية الذباب للجان لجان بول سارتر عرضا لبعض توجهاته الوجودية[1] قاصدًا بذلك صميم الحياة الإنسانية ومفرداتها اليومية وهذا ما تعنى به التربية تجاه الحياة ، والتربية في كل تجلياتها تدخل في خبايا مفردات حياة الإنسان الذي خلق حرا تلك الحرية التي تحتاج تنامي المقاومة ، والمسرحية بذلك

1- تتلخص الوجودية في أن يسعى المرء أن يحقق ذاته وأن يمضى في الحياة وفق وجوده بقدر مسئوليته إذا كان حرًا من كل قيد ، ليحدد مصيره ويواجهه نفسه.

openkan.com

تطرح العديد من القيم والأبعاد المهمة في تربية الإنسان المقاوم. فقد اعتاد النقاد النظر إلى مسرحية الذباب على أنها مسرحية مقاومة. وقد مثلت تحت سمع المحتل وبصره. فالأساطير التي تعالجها المسرحية قناع يخفي مضمونها السياسي عن أعين الرقابة. وهذا ما أكده سارتر، وقال في هذا الصدد عام 1959: "إذا كانت المسرحية قد قدمت للرقابة الألمانية، فقد حدث هذا بعد مناقشتها في اللجنة الوطنية للكتاب والسماح بعرضها" (أسعد، 1987، 249).

وكان لجوء جان بول سارتر إلى استلهام أسطورة "أورست" لكي لا توقف سلطات الاحتلال النازي عرض المسرحية ومع ذلك أوقفتها بعد أن كشف لهم أعوانهم من الفرنسيين عن مغزاها (خميس وفؤاد، 1968، 21). حيث عاود أورست إلى أرجوس وجد أخته "إلكترا" تعيش في تمرد سلبي مع أمها وعشيقها غاصب عرش أبيها. وأختار أورست تخليص مدينة أرجوس من الغاصب بالثأر وأعانته أخته أكثر على ذلك، لكنها كانت تسير بشعور غير شعوره، لقد صارت حياتها كلها أملا في الانتقام من الغاصب، وانتظارا له، ولكن هناك رغبة دفينةفي أعماقها ألا يتم فماذا تكون حياتها بعد ذلك؟ إنها تحيا على هذا الأمل، فلما تحقق، وقتل أخوها الغاصب، وحرر شعب أرجوس منه ثارت عليه، لقد أفقدها مبرر وجودها.

أما أورست فقد أثبت حريته من خلال عمله، وأصبح يستمد ناموس الحياة من أعماقه، إنه ليصرخ في وجه الإله "جوبيتر" قائلا: "إني إنسان، وعلى كل إنسان أن يبتكر لنفسه الطريقة"(سارتر، 1967، 187). لكن من حق أي إنسان آخر أن يتساءل عن مصداقية الطريقة التي يبتكرها الآخر لتأكيد ذاته، وما حدود تلك الحرية بالنسبة للآخر بمعنى ما أوجه النفع والضرر التي يمكن أن تحيق بالآخر؟.

ومع أن القصة تعكس لونا من فلسفة سارتر عن الحرية ، وابتكار الإنسان لها كما يريدها لا كما تراد له ، إلا أن لها مضمونا سياسيا ، لقد جعلها سلاحًا من أسلحة المقاومة ضد النازي ، وأتباع حكومة "فيشي" التي تحمل رسالة تقول: أقتل الغزاة ، أقتل عملائهم ، ولا تأخذك بهم شفقة ولا رحمة ، أقتل الطغاة ، ولا تقتل قلبك بالندم ، إن جميع الطغاة يخشون أن تشعر بحريتك ، أن يضع المستعبدون أيديهم على حريتهم ، كن حرا ، لأن الإنسان إذا أحس أنه حر كان السقوط هو مصير الطغيان المحتوم.

وهناك عدة أشياء لابد الإشارة إليها قبل رحيل أورست عن مدينة أرجوس بعد التخلص من الملك والأم الخائنة:

1- يرمز "الذباب" الذي يحاصر أهل المدينة في المسرحية إلى "آلهة الانتقام" وكثرة الذنوب لأنهم كما ذكر لم يثوروا من أجل مقتل أجاممنون.

2- أن أورست لم يشعر بالندم بعد مقتل الملك وأمه لأنه يتمتع بحرية الاختيار والفعل.

3- أن اختراع الملك عيد الندم ، أو الانتقال بالموتى كان له هدف سلطوي لتزييف وعي الجماهير ومن ثم إحكام السيطرة على أهل المدينة.

كما نلاحظ أن هناك تغييرا طرأ على المأساة الإغريقية بمعرفة إذ أراد سارتر في الذباب مآرب أخرى تحققت في شخصية أورست على وجه الخصوص **وهذا التغيير هو:**

- مأساة أورست في الأسطورة اليونانية ، يقتل أورست إيجست وكليتمنسترلكي يطيع أمر الآلهة محققا رغباتهم.

obeikan.com

- في مسرحة الذباب لسارتر، يعصي أورست أمر زيوس الذي كان أشار عليه بالرحيل عن أرجوس لكي لا يقتل الملك وأمه. ولكن إلكترا حفزته على الانتقام بشكل مقنع، رغم ترددها في مقتل أمها. وأورست في مسرحية الذباب، لا يريد الحكم، وإنما كان هدفه السعي إلى تحقيق وجود الإنسان.

رابعا: أبعاد تربية المقاومة في المسرحية.

أسفر تحليل مضمون مسرحية الذباب "لسارتر" الكشف عن عديد من أبعاد تربية المقاومة، والتي يمكن من خلالها الإسهام في بناء الإنسان المقاوم لكل ما يحول دون تأكيد ذاته وحريته. تلك الأبعاد التي تقدم لفكر المقاومة لدى سارتر المرتبط بالفكرة المحورية لديه وهى "الحرية"

1-التربية لوعي الإنسان بحريته وحقيقة دوره في الحياة:

هذا النمط من التربية يقتضي بالضرورة القيام بمهام أساسية لعل في مقدمتها ما يلي:

أ- نقد الواقع المفروض ومحاولة مقاومة سلبياته.

تدور مهمة بناء الإنسان في جوهرها حول إكسابه الوعي بطبيعة الدور المنوط به في هذه الحياة، ومقاومة كل ما يعوق هذا الوعي. هذا ووعي الإنسان بواقعه وتعرف وضعه المأساوي ونقده لهذا الواقع جزء كبير من تلك المهمة، دون أن يفقد الأمل في محاولة مقاومته، حيث يستمد كيانه من نقد هذا الواقع وكشف زيفه من خلال مواجهة موقفه وتشريحه. وهذا ما يبعث الأمل في النفس لا لشيء سوى أنه يجرد الحياة من مظاهر خداعها، إنها الحقيقة التي يسعى إليها، حيث توثق عرى الصلة بينه وبين كل ما يدفعه إلى تغيير هذا الواقع. وهذا ما أراده سارتر حين قدم "إلكترا" تحاول كشف واقعها والتفاعل مع الموقف دون خوف أو وجل حيث يعي

obeikan.com

الإنسان دوره ، ولعل الحوار التالي يمثل هذا الموقف على النحو التالي (سارتر ، 1967 ،73-74):

أورست: "خادمة؟ أنت؟

إلكترا: بل آخر الخادمات ، أغسل ثياب الملك والملكة الداخلية ، وهى ثياب قذرة دنسة تنضح بالقذارة ... كذلك على تنظيف الآنية ... على كل صباح أن أفرغ صندوق القمامة.

ثم تصف علامات الذل والانكسار التي يؤديها القس الأكبر أمام تمثال جوبيتر: وأذكر يوم جاء القس الأكبر ليؤدي ما تعود عليه من علامات الذل والاستكانة.

ثم يسألها أورست محاولا دفعها للفرار هروبا من واقعها(السابق ، 75-76):

أورست: ألم تفكري يوما في الفرار؟

إلكترا: ليست لدى هذه الشجاعة.. ويفزعني أن أراني وحيدة أطوي الطرق طياً...إني أنتظر شيئًا".

ويبدو من هذا الحوار رؤية يود سارتر من خلالها توعية المتلقي بدوافع مقاومة الواقع المفروض علي الفرد.

ب-إيقاظ المشاعر والبحث عن الحقيقة:

يحاول سارتر توثيق عرى الاتصال الحواري المطلوب بين رموز المقاومة وبين الشعب المحتل والمغلوب على أمره فتثور عدد من الأسئلة الرمزية لإيقاظ المشاعر لمحاولة البحث عن الحقيقة تلك الأسئلة التي يحاول من خلالها تدوير الأفكار وتذكر ما قد حدث ، فها هي إلكترا (الشعب الفرنسي)لا تتمتع بحرية ما

obeikan.com

فهي ترسف في عبودية قاتلة. وسارتر بذلك يحاول التأثير مباشرة في الموقف حتى يصل الاثنان(أورست والكترا) إلى نقطة اتفاق تجمع بينهما بعد أن يتم تعارفهما للبحث عن الحقيقة فالحوار يسير بتلقائية ولكنه حوار مشبع بالكثير من طرح المطلق الميتافيزيقي وسيطرة الحدث التاريخي ، حيث يسيطر المستوى الميتافيزيقي على المسرحية مع الحدث التاريخي الأمر الذي حاول سارتر أن يترك الخاتمة في المسرحية يكتنفها الكثير من التساؤلات ، ويؤكد الحوار ذلك من خلال (سارتر، 1967 ، 78):

إلكترا: "... سأسألك سؤالا أرجو أن تجيبني عنه ، لأني في حاجة إلى جوابه بسبب شخصي.. شخص أنتظر قدومه: أفرض أن شابًا من شبان كورنثة من هؤلاء الشباب الذين يمرحون مع البنات ، قد عاد من سفره ، فوجد أباه مقتولا وأمه في فراش القاتل ، وأخته ترسف في ذل العبودية ، أتراه ينسحب في سكون ووقار ، هذا الشاب الكورنثي؟ أتراه يتراجع القهقرى بعد أن يقوم بفروض التحية والتبجيل لبحث عن عزاء له لدى صديقاته؟ أم تراه يستل سيفه ، وينهال على القاتل حتى يحطم رأسه؟ ألا تريد أن تجيب؟

أورست: لا أدرى؟

إلكترا: كيف ذلك كيف لا تدري؟"

وسارتر بسؤاله هذا يحاول أن يدفع الإنسان أن يحدد اختياراته ، وعليه حين الاختيار أن يتقبل المسئولية ، مسئولية النتائج المترتبة على فعل الاختيار هذا من خلال إيقاظ المشاعر في إطار محاولة الاقتراب من حقيقة الأمر، لذا يرى سارتر أن وجود الأدب لا يبرره إلا تأثيره المباشر على الواقع ، ومن ثم سوف يتجه أورست

لتغيير هذا الواقع مدفوعاً من إلكترا والغاية التي يرى تحقيقها في وجوده. وللتربية دور كبير في تكوين هذا البُعد من أبعاد المقاومة ، حيث لديها من الآليات التي تنجح من خلالها في إيقاظ المشاعر ، وتمكين الإنسان من التماس الحقيقة والوعي بها.

تـ مقاومة الوجود الزائف ، ورفض الاستسلام:

إن أولى خطوات التغيير الحقيقي هو امتلاك وعي نقدي يكشف عن زيف الواقع بأبعاده المختلفة ويرفضه ويقاوم الرضوخ لأمر الواقع السلبي والاستسلام له والتربية النقدية تعي ذلك وتحاول تنشئة الأفراد في ضوئه. وقدم سارتر أكثر من صورة لهذا الوجود الزائف في المسرحية فهذه صورة الحاكم "الملك" الذي يحاول إظهار عكس ما يبطن وذلك في الاحتفال السنوي بعيد الموتى أمام الشعب و"إلكترا" تدرك هذه الحقيقة ، ولكنها تستمد من ذاتها قوة تمسك عليها كيانها تقويها وتدبر أمرها ففي حوارها مع أمها كليتمنسترا التي تدعوها للاستعداد بأمر الملكة إلى التواجد في الحفل السنوي بعيد الموتى كما العادة يطالعنا هذا الحوار الرافض للتزييف حيث يظهر الملك في هذا العيد غير ما يبطن(سارتر، 1967 ، 80):

إلكترا: "أفي الحق أنى أميرة؟ إنكم لا تذكرون ذلك إلا مرة واحدة كل عام عندما يتطلع الشعب إلى رؤية لوحة من حياتنا العائلية ليتخذها له أسوة. ما أجمل أميرة تغسل الأنية وتحرس الخنازير! وإيجست أتراه، كحاله في العام الماضي، سيحيط كتفي بذراعه ، ويبتسم في وجهي ، وهو يسر بكلمات التهديد في أذنى؟

كليتمنسترا: عليك أنت يتوقف إبدال هذا الحال.

ويؤكد سارتر من خلال "إلكترا" على عدم استسلامها ورفض هذا الاستسلام لواقع لم يكن لها فيه دخل ، فهي في حالة اغتراب عما يحدث فهي موجودة في عالم

لا يدرك ما بداخلها ، عالم يضحي بالوعي مقابل تزييفه ، وهي بذلك لا تشارك فيه إلا مرغمة صاغرة (سارتر، 1967 ، 80):

إلكترا: "نعم لو استسلمت إلى سم ندمكم ، لو استجرت بغفران الآلهة عن جريمة لم أكن من جناتها. أجل لو قبلت يدي إيجست ودعوته بأبي ، كلا ، إن أظافره لا تزال تخفي الدم المتجمد من خلفها.

كليتمنستر:اعملي ما شئت ، فقد يئست منذ زمن بعيد من أن أصدر إليك أمرًا، وهاأنذا أنقل إليك أوامر الملك.

وبذلك على الإنسان مقاومة التزييف من خلال منح نفسه أكبر قدر من الحرية في الرفض أو القبول ، فهو ليس مخلوق سلبي خالي من الشعور أو العقل حتى يخضع لسيطرة التزييف الماثل أمامه ، والذي يعمل كستار يحجب الحقيقة وأن رد فعل الإنسان يكشف عن مستوى ما من الحرية لها القدرة على فعل شيء وتتجلى هذه المعاني أيضًا في الحوار الدائر بين "إلكترا" وبين "إيجست" حول مراسم الاحتفال بعيد الموتى ، حيث تتصدى لجبروت إيجست وتلبس ثوبها الأبيض وفي هذا إشارة إلى محاولة تغيير الأوضاع السلبية ، والتربية تسهم في ذلك حيث أن غايتها القصوى غاية قيمية ، وأن تغيير الأوضاع يتطلب الإيمان بنسق قيمي يحض الإنسان على فعل وسلوك التغيير الايجابي. **كما يتبين من الآتي**(سارتر، 1967 ، 105-106):

إجيست: "أجيبي ياإلكترا ، ما معنى هذا الثوب؟

إلكترا: لبست أفخر ثيابي. أليس هذا يوم العيد؟

الفس الأكبر: أتستخفين بالموتى؟ هذا عيدهم، وأنت تعرفين.

فكان عليك أن تجيئي في لباس الحداد.

إلكترا: الحداد؟ ولماذا هذا الحداد؟ لست أخاف موتاي ، ولا شأن لي بموتاكم.

إجيست:فهل أنت إلا البرعم الأخير من شجرة ملعونة؟ آويتك إلى قصري إحسانا...ستعرفين مبلغ نكالي. بل ستضيق عيناك عن كل ما تنفجر به نفسك من بكاء.

الجمهور: تبًا للكافرة!

إلكترا: أمن الكفر أن يبتهج الإنسان؟ ما لهم لا يبتهجون ، هم أيضًا؟ من حرم عليهم هذا ؟"

ث- رفض العبودية من خلال الوعي بالحرية والموقف فالوعي حرية:

عندما يقرر سارتر بأن العلاقة (السيد - العبد) تفضي إلى حرية السيد وسلب حرية الآخر، فإنه يرى في ذات الوقت أن الحشود هم الذين يتنازلون عن حريتهم للسيد (للزعيم). ورغم أن سارتر يرى ضرورة للزعيم إلا أنه يؤكد أن العلاقة هذه لأبد أن تقوم على السيادة المشتركة – كما سبق أن أشار البحث – والتربية النقدية تسعى إلى تكوين هذا الوعي الذي يجعل من الإنسان رافضا لكل ما يرسخ استبعاده ويسلبه حريته. وأكد سارتر ذلك في الاحتفال بعيد الموتى كما هيأ الملك لشعب أرجوس تظهر إلكترا بثوبها الأبيض على غير العادة تواجه الملك الغاصب

obeikan.com

أيجست في شجاعة نادرة تعلن التحدي والتمرد رافضة أغلال العبودية التي كبلت بها(سارتر، 1967 ، 106):

إلكترا: "أنى لك أن تتكلم عن أجاممنون؟ ألا تدرى أنه يطرق بابي ليلا ليناجيني؟ أتدري ما يسر في أذني بصوته الصاهل المتهدج من كلمات الحب والأسى؟ نعم إنني أضحك للمرة الأولى في حياتي ، إنني أضحك وأشعر بالسعادة: أتزعم أن سعادتي لا تغمر بالبشر قلب أبى؟ بل لو كان حاضرا ، لو رأى ابنته في ثوبها الأبيض ، ابنته التي صفدتها بأغلال العبودية ، لو رآها ترفع الرأس عاليًا ورأى أن الكوارث لم تنل من كبريائها ، ما حلم طرفة عين بلعنها ، بل لبرقت عيناه الشاخصتان في وجهه المشؤم ، وأفترت شفتاه الداميتان عن ابتسامة الرضا".

فإلكترا مندفعة لرفض القيد من خلال الوعي بموقفها المأساوي ، حيث نرى جان بول سارتر مهتما بالفعل وذلك من خلال جعل الإنسان الواعي بمسئوليته محور الحدث المربي ، فإلكترا تطلب حريتها ، وهى تحاول بذلك تجسيد موقف جماعي للمقاومة من خلال موقفها الفردي وإحساس كل فرد بمأساته التي يحياها بالزيف والخداع والوهم. وإلكترا بذلك تحاول الارتفاع فوق هوانها ، وهي بذلك تستأهل الوجود الذي تعيشه وبمواجهتها هذا الموقف يعد استجابة لحقيقة وجود يستشف منه المحاولة والسعي لصنع تاريخ أفضل وحياة أوفق.

ج- التربية بالانتقاء الثقافي وحب التثقيف:

وُيضمن جان بول سارتر مسرحيته الذباب مستويات عدة من أبعاد التربية الموجهة وعلى رأس هذه المُستويات البعد الثقافي وأهمية الثقافة كعنصر تربوي مشكل للعقل والوجدان ، وهو بذلك يجعل للثقافة مكانة هامة في نفوس البشر لأنها

تبنى المثل والقيم العليا وتنشئ قيما جديدة ، كما أنها تجعل المرء في حالة تجاوب مع مستجدات الحياة محاولا إحلال قيم جديدة مكان قيم قديمة بالية ، والثقافة تزيد العبء الواقع على الإنسان ، لأن خياراته سوف تكون مسئولة تجاه نفسه والمجتمع ويشير النص أيضا لأهمية دور المعلم في تأكيد ما سبق(سارتر، 1967 ، 63):

المربي: "وماذا فعلت بالثقافة ، يا حضرة السيد؟ إنها ملكك ، إنها ثقافتك جمعتها لك بحب وولع كما تجمع الباقة ، ونوعت أزهارها بحكمتي وكنوز تجاربي ألم أروضك منذ الحداثة على قراءة جميع الكتب لتألف نفسك اختلاف الآراء الإنسانية وعلى جوب مئات الدول دون أن أنسى توجيه نظرك في كل فرصة تسنح إلى أن عادات البشر وتقاليدهم قابلة للتغاير والتخالف؟"

والتربية بالثقافة فعل جدلي بين الحقوق والواجبات بين حقه في الانتقام ومسؤوليته تجاه أهل أرجوس ، حيث يصور سارتر في المسرحية حق أورست في الانتقام من قاتل أبيه ، فتصاغ المشكلة من خلال التضمين الأسطوري والواجب الذي يحاول تأديته تجاه أهل أرجوس ، وهذا الفعل الجدلي يصبح مسئولية ، قد صاغتها ثقافته وتلك مواجهة تفضي إلى صراع حول الحقوق والواجبات. فسارتر يريد أن يغير العالم من خلال المسرحية بادئا بتغيير الواقع الماثل في المحيط الملموس وذلك بعدم فرض أيديولوجيا على المتلقي ، لكنه يحاول دمج المتلقى وجدانيا من خلال طرح المشاكل بدلا من حلها.

2-التربية لمقاومة ما يعكر صفو الحياة الإنسانية:

هذا البعد من أبعاد تربية المقاومة يتطلب القيام بما يلي:

أ – مقاومة الخوف ورفض زرعه في النفوس:

يطلعنا سارتر بأن أحد دعائم الاستبداد بكل صوره هو زرع الخوف في النفوس ، فالحاكم المستبد يزرع الخوف في شعبه. فيربى الملك الغاصب شعبه على الخوف الدائم المستمر ، بما فيهم الأطفال الصغار لقد زرع فيهم أن الخوف طريق الأمانة. ويظهر ذلك جليا من الحوار القصير بين أم وطفلها ، وقد هيأته في الاحتفال بعيد الموتى ليكون خائفا ويكون جاهزا للبكاء إذا طلب منه ذلك حيث (سارتر، 1967 ، 91-92):

المرأة: "(تحبو على ركبتيها أمام ابنها الصغير): رباط الرقبة هذه ثالث مرة أصلح لك فيها عقدته. (تمسح ثيابه بيدها) ها أنت قد صرت نظيفا كن عاقلا، وأبك مع الآخرين إذا طلب إليك البكاء.

الطفل: أمن هنا يقدمون؟

المرأة: نعم.

الطفل: أنا خائف.

المرأة: يجب أن تخاف يا حبيبي ، وأن يعظم خوفك ، دون ذلك لا يكون المرء شخصا أمينا".

وفي موضع أخر من المسرحية يؤكد سارتر على هذا الخوف الذي زرعه الملك الغاصب في رعايا الملك أجاممنون(سارتر، 1967 ، 94):

أورست: "ها هم ، إذن مواطنو أرجوس ، ورعايا الملك أجاممنون الأوفياء.

المربي: ما أقبحهم! انظر يا مولاي إلى لونهم الذي يشبه تماثيل الشمع ، وإلى أعينهم الغائرة هؤلاء الناس يموتون من الخوف ، وهذه عاقبة المنحرفين".

وكان لتضمين سارتر مسرحية الذباب عيد للموتى سنويا ليعبر عن الخوف الذي يظل مسيطرا على أبناء أرجوس(فرنسا) ، ويظلوا في حالة ندم وخاضعين لأن عدم ثورتهم على مقتل ملكهم المنتصر أجاممنون تعد خطيئة كبرى ، ويؤكد سارتر أن حالة القهر المفروض على أبناء أرجوس ماثلة في أجواء المدينة قائمة وقد حاول الجمهور الشكوى إلا أن الغاصب إيجست يلاحق ذلك دائمًا ، حتى إلكترا حاولت الاحتجاج (سارتر، 1967 ، 97):

إيجست: "أيها الكلاب! كيف جرؤتم على الشكوى؟ أغاب عن ذاكرتكم ما تعلمون من حقارة شأنكم؟ وحق جوبيتر لأوقظن ذكرياتكم من سباتها (يلتفت إلى "كليتمنستر") يجب أن نوطد العزم على البدء بدونها (يقصد إلكترا) ولكن لتأخذ حذرها فإن عقابي صارم أليم".

و يطالعنا الحوار السابق على موقف لتجسيد حركات المقاومة الصاعدة والتي لا يمكن أن تصف بأنها مقاومة ذات برنامج تسير وفقه ، فاختراع إيجست عيد الندم (الموتى) أو الاحتفال بالموتى لكي يضمن حكما هادئا مستقرا ، فإن هناك بعض القوى التي لأبد لها من مواجهة الموقف حيث تمثل ذلك في "إلكترا" و"أورست" أي الجمهور الفرنسي وأعضاء حركة المقاومة. والتربية للمقاومة تحض الإنسان على الشجاعة في قول الحق ، وضرورة مقاومة الخوف ، فالعزم والقوة والشجاعة الممتزجة بالحق التي تغرسها التربية في النفوس تنشء أجيال تمتلك الوعي مع الحرية الحقة ، والتي تعتبر صوت قاتل لكل ظلم ولكل استبداد.

ب – تربية التفاؤل والأمل في التغيير:

رغم ما يجابه الإنسان من صعاب في الحياة ، يظل الأمل ببزوغ فجر جديد ينعم فيه بالحرية وطيب الحياة دليل التربية المتفائلة ، والتي تدفع الإنسان للحياة دفعا وتفتح أمامه آفاق رحبة للنجاح. وهذا يحتاج إلى التقدير الجيد لأوضاع الواقع أو لأبعاد المشكلة أو حسن تقدير المواقف بشكل يسمح للتعامل معها بإيجابية ، واستجلاء بعض أبعاد الموقف التي يمكن من خلالها استبصار النقاط المضيئة للانطلاق بالأمل والتفاؤل. وهذا ما أراد به سارتر تفسير خطاب إلكترا مع جوبيتر. فإلكترا" شقيقة أورست تحاول الكشف عن حقيقة "جوبيتر" فهي تعرف أنه قطعة من خشب لا فائدة منه ، وهى تقدم قرابين غير اللاتي يقدمنها القديسات فهي قرابين من بقايا عفنة من اللحم والخبز في يوم عيده وهى تأمل مؤكدة في حضور المخلص الذي سوف يشقه بسيفه شطرين حتى يعرف الجميع أن سيطرته عليهم نوعا من الزيف (سارتر، 1967 ، 70):

إلكترا: "مخاطبة تمثال الإله جوبيتر[2] فخذ هذه الفضلات ، وكل ما في الكانون من رماد ، وهذه البقايا العفنة من اللحم الذي يسرح فيه الدود ، وهذه القطعة المتعفنة من الخبز التي عافت أكلها الخنازير .. لأن ذبابك يشتهى كل هذا. عيد هنئ .. عيد هنئ ، وأتمنى أن يكون الأخير ، لو طاوعتني قوتي لقذفت بك على الأرض ولكن ليس في طوقي إلا أن أبصق عليك. لكن الذي أترقب حضوره قادم لا محالة متقلدا سيفه الكبير.. فيلقى عليك نظرة ساخرة ، ثم يرفع سيفه ويشقك من أعلاك إلى أسفلك ، فينهار شطرا جوبيتر".

2- جوبيتر: إله الموت والذباب.

Obeikan.com

ما تمثله إلكترا في هذا القول ينم عن مقاومة ، حيث تجد في صوتها الوعي بموقفها المأساوي ، وهى تحاول إبعاد سيطرة جوبيتر المزعومة عن داخلها ، حتى لا يسيطر عليها الخوف والاستسلام ، ففي يقينها أن الخلاص قادم لا محالة ؛ فهي ليست ضعيفة القدر أو الشأن ، فهي بدأت مقاومتها بكشف زيف هذا الإله فهي تمضى التأمل في حيثيات وجوده المزعوم(سارتر، 1967 ، 70-71):

إلكترا:" إن ضربة واحدة من سيف كفيلة بشطرك شطرين دون أن تنزف منك قطرة من دم. من خشب أبيض ؛ من جيد الخشب الأبيض مما يطيب للنار التهامه".

جـ ـ رفض الخيانة والخديعة بحجب قدرة الناس عن أعينهم(تزييف وعيهم):

يستطيع الإنسان أن يحقق المستحيل ، ولكن عندما تكون قدرته محجوبة عنه بفعل الخداع والتمثيل والزيف الذي يفرضه فعل القهر والاستبداد المرعب يمتنع الفعل الايجابي ، لأنه لم يمتلك إرادة هذا الفعل ، من ثم فإن مهمة التربية في تكوين وعي الإنسان تعني إكسابه إرادة الفعل (الحرية) ومقاومة الإرادات الأخرى الطاغية.

كما يتضح من الحوار التالي بين إيجست الملك المستبد وجوبيتر:(سارتر، 1967 150):

إيجست: "وايم الحق لو علموا ، لأشعلوا النار في أركان قصرى الأربعة هذه خمسة عشر عاما تنقضي ، وأنا أمثل أمامهم المهزلة ، لأحجب قدرتهم عن أعينهم".

يحـاول إيجسـت تصـوير مـا يفعلـه مـن خـلال مماثلـة مـع الإلـه حسـب مـا صـور لـه الإلـه جـوبيتر وبالتـالي فعلى الشعب الانصياع لكل مـا يفرضـه عليهم: (سارتر، 1967 150)

جوبيتر: "ألا ترى أننا سواء؟

إيجست:سواء؟ بأي سخرية يدعى إله أنه وإياي سواء؟ منذ أن ملكت ، وكل أعمـالي ، وكـل كلمـاتي لا وجهـة لهـا إلا تصـوير صـورتي ، أريـد مـن كـل واحـد من رعاياي أن يحملها في نفسه ، وأن يحس حتى في وحدته نظراتي القاسية تنوى بأخف أفكاره. ولكنى كنت أول الضحايا ، فأصبحت لا أرني إلا كما يرونني".

فقد اقتلع "الملك" كل القيم من حياة الشعب ، فأصبح عالمه هو الآخر سخيفا حيث يبدو من حواره أن أعماله وأفعاله سوف تنتهي إلى الاضطراب والارتباك ، والقلق والموت والعذاب واليأس ، وهذا مـا سوف يحدث في نهاية المسرحية حيث سيلقى حتفه مع الأم الخائنة على يد أورست ، وفي ظل هذه الحياة لابد أن يبدو بصيص من النور وسط الظلام الحالق ، ونجد من يقدر الكرامة الإنسانية ، وقدسية الحياة حيث تتبدى الحقيقة التي لا مفر منها ، ويبقى الأمل في الخلاص ، حيث تنتهي الغفلة وتعود للناس قدرتهم ، ويرى كل إنسان نفسه على ما هو عليه في حقيقته وقد ذهبت عنه الأوهام.

هـ- رفض الخنوع والتخاذل والاتجاه لمقاومة القهر.

يعبر سارتر عن استيائه من الإنسان الخانع والمتخاذل ويدعو إلى الجرأة في قول الحق ومقاومة الظلم مهما كانت العواقب. مما يدعم حرية الإنسان ويصون كرامتـه ، والتربيـة الـتي تسـعى إلى ترسـيخ هـذا الأمـر ، فإنمـا تسـعى إلى الارتقـاء

بالإنسان إلى حيث مكانته الصحيحة. وقد اتضح ذلك لدى سارتر عندما عبر عن استيائه من الشعب الفرنسي خاصة المتخاذل منه ، حيث السكوت على الذل والمهانة من المحتل ...ففي الحوار الدائر بين أورست وجوبيتر يظهر أورست رفضه وسأمه من أهل أرجوس (فرنسا المحتلة) التي كانت شيمها الصمت على المهانة وقهر المحتل واستعباده ولم تقل كلمة حق تدافع عن وجودها **كما يلي** (سارتر، 1967 52-53)

جوبيتر: " ...سكت الناس ولم يقولوا شيئًا ، لأنهم لما سئموا الحياة الإقليمية الراتبة أرادوا أن يسروا عن أنفسهم بمنظر موت عنيف. لم يقولوا شيئًا عندما طلع الملك أجاممنون على أبواب المدينة. ولم... وكانت كلمة واحدة في ذلك الحين تكفي ولكنهم سكتوا جميعًا.

أورست: وأنت أيضا ، ألم تقل شيئًا؟

جوبيتر: أما أهل أرجوس فلم يقولوا شيئًا أيضًا لما أصبح الصباح وسمعوا الملك يعوي في القصر من وقع الألم ، بل أغمضوا أجفانهم على أعين تستمرىء اللذة".

3-التربية لحب الوطن والانتماء إليه:

هناك علاقة ترابط بين المقاومة والمواطنة وبعض المفاهيم المرتبطة بهما كالانتماء يساعد في فهم العديد من القضايا كحب الوطن والانتماء إليه ، مما يعبر عن جانب من جوانب دعم تربية المقاومة والذي يحث الإنسان نحو الدفاع عن الوطن ومقاومة كل ما يمكن أن يعرضه للخطر. **وهذا يتطلب بشكل أساسي:**

أ- رفض استباحة الوطن:

إن الدفاع عن مقدرات الوطن واجب وطني على كل فرد ينتمي إليه وينعم بالعيش فيه. وإذا طغى على المجتمع طابع الاستسلام ، ومن ثم انعدمت لديهم المقاومة فالمحتل أو أي رمز من رموز الاستبداد يتربع على العرش ، وقد يتعود الناس على عاداته إذ انعدمت المقاومة. وقد أظهر سارتر ذلك من خلال ما أدى إليه مقتل أجاممنون على يد الملك إيجست والزوجة الخائنة أن صارت أرجوس مدينة يحكمها الخوف والرعب الذي زرعه أيجست وتحولت إلى مدينة مستباحة **ويتضح ذلك من الحوار التالي**(سارتر، 1967 ، 52):

جوبتير: "…. إذ لست من أهل هذا البلد ، وكل هذه المسائل لا تعنيني أما أهل أرجوس فلم يقولوا شيئا أيضا ، لما أصبح الصباح وسمعوا الملك يعوى في القصر من وقع الألم ، بل أغمضوا أجفانهم عن أعين تستمرىء اللذة ، وصارت المدينة جمعاء كامرأة تعاقرها الشهوة.

أورست: وها هو القاتل يحكم وقد تمتع بخمسة عشر عاما من السعادة. لشد ما كنت أؤمن بعدل الآلهة".

وسارتر الأديب الملتزم وصاحب نظرية الأدب الملتزم ، يعمد من خلال ذلك خلق تواصل مادي من خلال عملية التلقي ، مصحوبا بالتواصل الجمالي ، كما نرى في الحوار السابق بين جوبيتر و أورست ويعقب أورست مستعيدا في ذاكرة اغتصاب العرش مؤكدا أن هناك عدالة إلهية سوف تحقق.

ب- رفض فكرة إخضاع الشعب واستخدام العنف:

لتأكيد حب الوطن والانتماء إليه كبعد ضروري من أبعاد تربية المقاومة لدى الإنسان ، لابد أن تتأكد على الجانب الآخر إرادة الشعب واحترام هذه الإرادة

ومقاومة آليات تزييف وعيه وإرادته برفض إخضاعه واستخدام العنف تجاهه. ويؤكد سارتر ذلك من خلال حثه على رفض أساليب الملك إيجست في استخدامه للعنف والرعب في إخضاع سكان المدينة **ويتضح هذا من حواره مع كليتمنستر** (سارتر، 1967، 138):

كليتمنستر: "ماذا بك؟

إيجست: ألم ترى بعينيك، فلو لم ألق الرعب في قلوبهم، لتخلصوا من ندمهم كل طرفة عين.

كليتمنستر: أهذا مصدر قلقك؟ في وسعك أن تكبح جماحهم متى شئت.

إيجست: هذا جائز، لا أحد أمهر منى في لعب هذه المهازل (هنية). إني آسف على أن اضطررت إلى عقاب إلكترا.

كليتمنستر: لأنها ابنتي؟ لقد طاب لك أن تعاقبها، وكل ما صدر منك حسن في عيني.

إيجست: ليس من أجلك ما أسفت أيتها المرأة.

كليتمنستر: لماذا إذن؟ وأنت لا تحب إلكترا.

إيجست: لقد سئمت. فهذى خمسة عشر عاما تنقضي، وأنا أطوق بذراعي شعبا كاملا لأمسكه على الندم، هذه خمسة عشر عاما، وأنا ألعب دور الشاخص الذي يخوف به الطير وهذه المسوح السود قد نضحت على نفسي".

لو تأملنا الحوار السابق نجد أن هناك مواصفات يتجلى بها الحكم الاستبدادي والحاكم القاهر القامع لإذلال شعبه وحمله على الرعب تمهيدا لإحكام السيطرة عليه من هذه المواصفات:

oberkan.com

1- إلقاء الرعب في قلوبهم من خلال الندم.

2- المهارة في خلق المواقف الهزلية استخفافا بهم لإقناعهم بأشياء غير منطقية.

3- العقاب المتواصل الذي لا ينقطع كآلية ضبط وتخويف لإقرار الخوف وتمكينه في قلوب الشعب.

هذا الرعب الذي يفرضه الحاكم يفقد الإنسان كل ركائزه التي ألفها وألفته ومن ثم فإنه يضطر إلى السعي إلى ركائز أخرى جديدة ، هذه الركائز الجديدة سوف تفي بغاياته لكي يرتفع فوق هوانه ، ومن ثم يستطيع الإنسان أن يجرد الحياة من مظاهر خداعها في الوقت الذي يميل فيه إلى تأصيل قيم جديدة تؤسس للمقاومة والفعل ، بعيدا عن التمسك بأهداب الزيف والخداع والاستمرار في المهزلة إنها الحقيقة التي تتوق إليها النفس البشرية مهما كانت بعيدة ، أو متناثرة في الوغى ، حيث تكون المحاولة والسعي إليها وحدها دون غيرها. والتربية التي تسعى إلى تأسيس وترسيخ تلك القيم التي ترتكز عليها أفعال المقاومة ، هي تلك التي تسعى إلى تحرير الإنسان وإرساء حريته وبنائه.

جـ- التربية بالانتماء (بالحنين والعاطفة):

يمثل الانتماء في المسرحية قيمة مهمة ، حيث يؤكد سارتر أن الإنسان في موطنه يشعر بقيمة وجوده حتى لو كان عبدًا مكدودا فالانتماء لبقعة من الأرض تبعد المحنة عن الإنسان فعاطفته إليها جياشة ، لأنه في بعده عن أرضه يقع ضحية النفس والأسر فتصبح إرادته معدومة حاملا عبء غربته عن أرضه. **كما يطالعنا سارتر بذلك في موقف أورست تجاه وطنه الأصلي**

أورست: "لم يبق لي إلا هذه الفرصة ، فلا تحرميني إياها ، ياإلكترا.

الرجال: انظري إلى العبد يمر مكدودًا عابسًا يرزح تحت حملة الثقيل ، يجر ساقيه ، وينظر إلى قدميه ، لا إلى شيء غير قدميه ، ليأمن الزلل ، العبد في مدينة ما، وهذه حاله كالورقة بين الورق والشجرة في قلب الغابة ، تحيط به أرجوس ثقيلة قائظة ، مليئة بنفسها ، أريد أن أكون هذا العبد يا إلكترا".

فرغم المناخ الخانق الذي يمكن أن يشعر به أي إنسان في وطنه ، إلا أن الانتماء إليه قيمة يحملها الإنسان (أورست) في داخله ، وهذا ما أراد سارتر قوله حينما أطلعنا على مشاعر أورست. إذ يعرف جيدا لماذا عاد إلى مدينته (وطنه) وقد تستدعي الأزمات وكثرة الطغيان - خاصة إذا كان من المحتل للوطن – الجانب الآخر لدى الشعوب وهو التمسك بتراب الوطن والذود عنه والتضحية من أجله حتى الموت مهما كان المناخ في الأوطان ظالما. فالمدينة بحاكمها الطاغية (إيجست)، لا يقيم وزنا للكرامة الإنسانية ، لذلك تعلم أورست الحنان على الغير والقلق من أجلهم ، فتراه يمعن التأمل في ظلم النظام الاجتماعي ، كما أشار في حواره. لذلك يتدبر أمر أهل المدينة ، ولا يكترث قليلا أو كثيرا بما سوف يحدث له لأن انتمائه يدفعه إلى التضحية ورفع الظلم عن أهل المدينة ، فتقوده عاطفة الانتماء المبنية على الإدراك.

ويدخل سارتر إلى منطقة الذكريات والحنين وكيف يمكن تحقيق مرام معينة من خلالها لدى الإنسان حيث نرى ذلك واضحا في حوار المربي وأرست فنجئ أورثت لأرجوس يحمل عودة للثأر ودفع الظلم ، حاملا ذكرياته وحنينه بين جوانحه(سارتر، 1967 ، 62):

وأرست: "... هذا هو قصري ، فيه ولد أبى ، وفيه قتلته عاهر مع ديونها وفيه ولدت أنا أيضا ، كنت قد ناهزت الثالثة من عمري ، لما حملني جلادو إيجست ، لا ريب أننا عبرنا هذا الباب ، وقد حملني أحدهم بين ذراعيه. ولعلى كنت مجهشًا بالبكاء... آه لم يبق في نفسي من كل ذلك أيسر ذكرى ، ها أنا أرى مبنى ضخمًا صامتًا مجللا بهيبته الريفية... إني أراه لأول مرة".

فأرست يقاوم اليأس والهزيمة ، فهو يحاول أن يعطى شكلا لحياته حيث تسيطر عليه حقيقة اغتيال والده الملك في نفس الوقت الذي نفي فيه خارج البلاد وهو طفل صغير تعهده مربى له فهو يعيش لحظة الوعي بذلك ، كما أن صفة الزمن ذاتها تجعله لا يستجيب إلى اليأس والهزيمة ، فالخطوة الوحيدة التي يفكر فيها كيف يصل إلى قاتل أبيه ، فالزمن يسير وهو لا يستطيع إيقافه ، ولكن يمكنه أن يهزم الطاغية بعد أن يلقاه ، مستشعرا تلك الذكريات وذاك الحنين.

هذا ويظل إرساء حب الوطن والانتماء إليه عبر العصور ، من أهم المبادئ التي تلعب التربية دورا كبيرا في إرسائها في النشء ، عبر وسائل وآليات متنوعة والتي تمثل الدرع الواقي للوطن وأبنائه على السواء لمقاومة أعدائهما.

4- التربية لغرس وإنماء القيم المربية:

الغاية القصوى من التربية غاية قيمة ، وتربية للمقاومة تقتضي نسق من القيم (المربية) ، حيث تمثل أدوات للضبط الداخلي (مقاومة) وموجهات لسلوك الفرد تجاه نفسه وتجاه الآخرين. والتربية بحاجة إلى تكوين هذا الضبط أثناء عملية التنشئة الاجتماعية للفرد من خلال تكوين هذا النسق من القيم المربية

الحاكمة لسلوك الفرد ، حيث يتشكل في ضوئها لمقاومة سلبيات الواقع عمومًا وكي تكون جزءًا من تكوينه يتضح في أفعاله.

ونرصد من هذه القيم التي أسفر عنها التحليل:

أ-حرية الفكر والعمل

تمثل "الحرية"محور ومرتكز أساسي في فكر سارتر تدور في فلكها أفكاره الأخرى المتعلقة بالالتزام والمسئولية والاختيار الحر وغيره. وسارتر إذ يدعو لتأكيد الإنسان لذاته وتحقق ماهيته ، فإن ذلك في إطار من الاختيار الحر فكرًا وعملا. والتربية التي لا يكون غايتها تحقيق حرية الإنسان والسعي لتحريره من رقبة استعباده ومظاهر الظلم والاستبداد ؛ تفتقد لمقومات وجودها ويفقد معها الإنسان وعيه وحريته وتهدم مبدأ وقيمة المقاومة ، من ثم يحاول سارتر أن يؤكد على ضرورة تعلم حرية الفكر وامتلاك إرادة الفعل. فيقدم وأرست وهو يحمل طابع المحبة ويتمثل الثورة في داخله محاولا بذلك تحقيق شخصيته الإنسانية في عالم لا إنساني **ومن خلال الحوار التالي** (سارتر ، 1967، 61):

وأرست: "أعفني من فلسفتك ، فلقد بالغت في إيذائي.

المربي: إيذاؤك! أمن الإيذاء أن يلقن المرء حرية الفكر؟ آه لشد ما تغيرت".

وفي حوار فلسفي دار بين إيجست ملك أرجوس وجوبي تر إله الموت والذباب، حيث يتضح التناظر بينهما ومدى استلابهما لحرية الناس ومدى وعيهما بخطورة امتلاك الشعب لحريته. من ثم يطالعنا سارتر بأن الزيف كل الزيف في عدم وعي الإنسان بهذه الحرية وحجبها من قبل أي سلطة غاشمة

أو مستبد طاغية - الاحتلال النازي- حيث المحاولات المستمرة لتزييف الحقيقة (سارتر، 1967 ، 149-150):

جوبيتر: "... كلانا يسعى إلى أن يسود النظام. أنت في أرجوس ، وأنا في العالم. السر الذي يوقر قلبي هو عين السر الذي يوقر قلبك.

إيجست: ما لدى من سر.

جوبيتر: بلى عين ما لدى سر الآلهة والملوك الأليم.ذلك أن الناس أحرار. أحرار يا إيجست. أنت تعلم ، وهم لا يعلمون.

إيجست: وأيم الحق لو علموا ، لأشعلوا النار في أركان قصري الأربعة. هذه خمسة عشر عاما تنقضي ، وأنا أمثل أمامهم المهزلة ، لأحجب قدرتهم عن أعينهم".

ويستمر حوار الحرية وخطورة وعي الناس بها على المستبد الظالم ، زمن ثم يتفنن في أساليب القمع والكبت للحريات. من هنا تأتي أهمية وعي الإنسان بها فيقول جوبيتر مواصلا الحوار مع إيجست(سارتر، 1967 ، 152):

جوبيتر: "...أمرتك بما هو آت: أن تقبض على وأرست وأخته.

إيجست: هل بلغ خطرهما هذا الحد؟

جوبيتر: وأرست يعلم أنه حر.

إيجست: (منفعلا) ، يعلم أنه حرا إذن لا يكفي أن يكبل بالأغلال، لأن الرجل الحر في المدينة كالشاة الجرباء في القطيع.

جوبيتر: إن الحرية إذا تفجرت في روح إنسان ، لم تستطع الآلهة شيئا ضد هذا الإنسان. وغنما على غيره من بني البشر أن يتركوه يجول ويصول أو أن يخنقوه".

وينتقل حوار الحرية بين أورست (رمز المقاومة) وأخته إلكترا (رمز الشعب الفرنسي المغلوب على أمره) حيث الحرية فكر وفعل واختيار. فبعد قتل الأم الخائنة (رمز الخيانة لحركة المقاومة) وجد أورست في هذا الفعل حريته في حين تظل إلكترا تائهة لا تشعر بهذه الحرية (سارتر، 1967 ، 160):

أورست: "إني حر يا إلكترا. انقضت على الحرية انقضاض الصاعقة.

إلكترا: حر؟ أما أنا فلا أشعر بأني حرة.

أورست: أتظنين أني أريد محوه؟ لقد فعلت فعلي يا إلكترا ، وهو فعل حسن سأحمله على كاهلي كما يحمل المسافرين عابر الماء ، وسأعبر به إلى الشط الآخر لأقدم عنه الحساب. وكلما ثقلت على حمله قرت به عيناي ، لأنه هو حريتي وحريتي ليست شيئا سواه".

وفي إطار الحرية فعل إرادي واختيار (إرادة المقاومة) فقد رفض أورست البقاء في المدينة واختار الرحيل، بعد إن خلص أهل أرجوس من الملك الظالم ومن ظنونهم وقيودهم التي كبلوا بها أنفسهم . وحررهم من قيد أفكارهم الزائفة كما حرر وعيهم وأرضهم من الذباب (رمز الذنوب والمساوىء) وكشف لهم مثالب صمتهم المخزي وأفعالهم التي دفعتهم إلى الندم ، ثم اختار بحرية ، وأن يرحل ويترك الناس ليقرروا مصائرهم بأنفسهم.

فيقول أورست (سارتر، 1967 ، 198- 199): "... والآن ها أنتم أولاء أمامي تلتهمني أبصاركم ، وقد فهمتم أن جريمتي هي جريمتي وإنا صاحبها ؛ أصر أمام وجه الشمس على نسبتها إلى ، وهى كنه حياتي ومعدن كبريائي ، وأنكم لا تملكون لي

ثوابا ولا عقابا. ومن ثم كان خوفكم إياي. ومع ذلك فأني أحبكم أيها الناس...أريد أن أكون ملكا لا أرض له ولا رعايا".

ب – محاسبة النفس بعد ارتكاب الإثم تحرر:

يريد سارتر أن يؤكد على ضرورة أن يحاسب الإنسان نفسه حتى يتوب عن آثامه. ففي حوار جوبيتر مع أورست ، يدعوه إلى الرحيل عن المدينة ، فيؤكد له أن المدينة نصفها ميت يقلق الذباب ساكنيها ، وأهلها من كبار الإثمين ، وقد استقاموا في طريق التوبة وسارتر بذلك يؤكد على حقيقة مفادها أن الإنسان لا يستطيع أن يهرب من نفسه ، وأنه لابد له أن يكون أمينا في لقائه لها وتعبيره عنها، فالسير في سبيل محاسبة الذات تحرر، و تحقق للوجود في الحياة ، لذلك فالمدينة تعيش حالة التكفير عن الذنب (سارتر، 1967 ، 58):

جوبيتر: "أيها الشاب أذهب من حيث جئت... فخير ليك أن تفعل ذلك من أن تكون ملكا على مدينة نصفها ميت ، ... يقلق الذباب ساكنيها ، أهلها من كبار الأثمين ، ولكنهم قد استقاموا في طريق التوبة".

جـ- طهارة الروح:

يؤكد سارتر على أن طهارة الروح تتوافر في الإنسان الذي لا يرتكب الإثم ولا يشارك في صنعه أو الدفع إليه ، لأن الإنسان بذلك يستطيع أن يميز بين نفسه الحقيقية المحبة للخير، ونفسه غير الحقيقية الماضية نحو الإثم. ومن المهام الأساسية للتربية تزكية الروح وطهارتها بالبعد عن الآثام بالاندماج في الأنشطة التي تدعم الحفاظ على صفائها ، ومن ثم مقاومة ما يعكر هذا الصفاء ، ويتضح ذلك من الحوار التالي(سارتر، 1967 ،58):

openkan.com

جوبيتر: ".... أرحل على إطراف أصابعك ، فإنك غير مستطيع أن تشاطرهم توبتهم ، لأنك لم تشاركهم في إثمهم ، وأن طهارة روحك السافرة لتحفر بينك وبينهم هوة بعيدا غورها.

فهم يتوبون عن ارتكاب إثم ترك ملكهم أجاممنون الذي عاد منتصرا ليموت على أيدي غاصبه ، وقد أدى ذلك إلى وخز ضميرهم مكفرين عن خطاياهم".

د ـ السلام بين البشر يحقق السعادة:

يقدم لنا سارتر في هذا الإطار مفهوما خاصا للعيش في سلام ، فالإنسان لا يستطيع أن يهرب من ذاته ، وأنه لابد له أن يكون أمينا في لقائه لها وتعبيره عنها فهو يسعى أن يحقق وجوده في الحياة ، ويحاول تحقيق سلام بين الجمهور من خلال إقناعه بنفض الوهم الذي يعيش فيه إلا أن هناك من يحاول أيضا إغراق هذا الجمهور في هذا الوهم وإشعال نار الحرب ، وهو ما يعبر عن إرادة المقاومة ضد إرادة أخرى طاغية. فها هو "القس الأكبر" يحاول جاهدا إبعاد الجمهور عن الالتفاف حول "إلكترا" ويصفها على أنها قطعة من الكفر(سارتر، 1967 ، 109-110):

القس الأكبر:"قلت لكم يا أهل أرجوس ، إن هذه المرأة قطعة من الكفر ، فويل لها وويل لمن يصغى إليها معكم.

ولكن إلكترا تدخل في تحدى صارم بينها وبين الملك ورجاله:

إلكترا: موتاى الأعزاء ، أختي الكبرى إيفيجينى ، وأنت يا أجاممون ، أبي ومليكي ، الذي لا مليك لي سواه ، إن كنت قطعة من الكفر ، وإن كنت قد آذيت روحيكما الكئيبتين ، فعجلا بإظهار آية حتى أكون على بينه من أمري. أما إذا سركما مسلكي ، فإني أتوسل إليكما يا حبيبي أن تلوذا بالصمت ولتكف أوراق

الشجر عن الخفيف ، وغشيت الأرض عن التمايل ، حتى لا يعكر معكر صفو هذا الرقص المقدس ، لأني أرقص للحبور ، أرقص لسلام البشر ، أرقص للسعادة والحياة. يا فقيديّ أسألكما السكون حتى يعرف جميع من يرونني أن قلبيكما معي".

الموتى صامتون ، وبدأ زيف الملك ورجاله واضحا ، وبدأ بيان حقيقة كذب الملك وادعاءاته ، وقد بدأ الجمهور يشعر أنه يعيش في عالم طابعه الزيف ، وبذلك تولد لديهم القلق من جراء الكشف عن تلك الحقيقة ، حيث يقع الناس على الحقيقة ، ومن ثم الرغبة الطاغية في محاولة التخلص مما يقعون فيه.

تريد الشعوب غالبا حياة يغلفها السلام خالية من الخوف والفزع ، حياة السعادة فيها غاياتهم. لكن طبول الحرب القائمة في أي وقت (لقاء الموتى كل عام حسب وهم الملك) يجعل الخوف والفزع متواصلا في حياتهم فهم لا يشعرون بسعادة ما ، ولا يلتمسون متع الحياة ، فهم يعيشون طابع المحنة التي تجلب الفزع إلى النفس حتى صاروا ضحية الطاغية الذي محا وجودهم. وهذا يوجه رسالة إلى التربية لأهمية أداء دورها في تحقيق وعي الإنسان ومقاومة ما يحيط به من خرافات تستلب وعيه وسلامه وسعادته.

هـ- رفض التسامح المشوب بالتخاذل والخنوع:

يمثل التسامح قيمة كبرى في حياة الفرد والجماعة ، مع الذات والآخر ، إلا أن التسامح يتطلب ظروفًا عادلة وكريمة حتى يتحقق دون خنوع وتخاذل ويتنامى حوار صاعد لدى سارتر كما يتبدى بين الأم كليتمنستر وابنتها إلكترا يعربان فيه عن البغض والكراهية الواضحة إلا أن عاطفة الأمومة تبدى مظاهرها أمامنا

ومحـاولات الـدفع نحـو التسـامح تفشـل طالمـا تظـل ظـروف الـذل والقهـر قائمـة ، **ويظهر ذلك من خلال هذا الحوار**(سارتر،86،1967):

كليتمنسترا: "إنما أكره فيك نفسي يا إلكترا ، وليس شبابك أوه كلا ، بل شبابي.

إلكترا: أما أنا فأكرهك أنت ، أنت بذاتك."

كما تحاول الأم أن تدفع أورست إلى الرحيل عن المدينة فلا مبرر لوجوده بينهما. ورغم تنامي الحوار بالشكل السابق فإن الأم بعاطفتها تخاف على أبنتها فتلك حقيقة فهذا العواء بين الأم وأبنتها عداء ضمني لأنه مرتبط بواقعة تخص الاثـنين إلا أن عـداء الأم تغلفـه الرحمـة وعاطفـة وحنـان الأمومـة ويتضـح ذلـك من الحوار التالى(سارتر، 1967 ، 86):

كليتمنسترا: "لأورسـت: إن قـوانين المدينـة تفـرض علينـا إكـرام الضـيف ، لكـن لا أخفـي عليـك أنـى أتمنـى رحيلـك ، وأمـا أنـت يـا بنـيتي ، أمـا أ نـت يـا صـورتي الصادقة الوفية ، فإني لا أحبك. هذا حق لا ريب فيه. ولكنى أفضل قطع يمناي على أن أمـدها إليـك بـالأذى. أنـت علـى يقـين ممـا أقـول وتسـرفين في اسـتغلال ضـعفي ، ولكني أنصحك ألا تشهري سم رأسك أمام إيجست ، لأنه يعرف كيف يقصم ظهر الأفعـى بضـربة واحـدة مـن عصـاه. تـدبري قـولي وأنـفـذى أمـره وإلا فعلـى سـلامتك العفاء.

وهـذا مـا أراد سـارتر تصـويره للعلاقـة بـين الفرنسـيين الخـائنين لفرنسـا والكـارهين لهـا ، والجمـاهير مـن خـلال بـثهم السـم لهـم ، والنصـح بـالاستسلام للألمـان الأقوياء. وإن كان النص يحمل في طياته تسامح مشوب بالتخاذل ونصح بالخنوع ،

لا يقبله صاحب مبدأ وصاحب قضية ما ، دفعته التربية التي خضع لها لامتلاك هذا المبدأ المقاوم.

ز- العيش في أمان ودون تزييف:

يتطلع الإنسان في كل زمان ومكان أن يعيش حياته في حرية وأمان رافضا القيد الذي يغل حياته ، فالتطلع إلى هناء الحياة وسعادتها مطلب جميع البشر فقد أطلعنا سارتر في المسرحية على كثير من مشاهد رغبة الإنسان في هذا الأمان فجعل الملك إيجست حياة الناس نوم وعذاب ويأس حيث يعيشون في حالة من حالات النوم الدائم والحزن الدفين والخوف القاتل ، إلا أن إلكترا في يوم عيد الموتى، قد كشفت النقاب عن حقيقة الحياة الجميلة فالعيش في حرية وأمان ما يتمناهما أي إنسان في حياته. فكان أهل أرجوس يخضعون طواعية للآخر ويتخلون عن عيشهم في حرية ، حتى أصبحت أرجوس يؤمها الذباب ويؤرقها فطغيان الملك في جعل الشعب قطيع أفقدهم العيش في حرية في ديارهم ، وانتزع من نفوسهم الأمان وصارت حياتهم فوضى حيث الذباب"الذنوب" يطاردهم في كل مكان إلا أن إلكترا تؤكد لهم زيف ما يفرضه الملك الغاصب إيجست وها هي في عيد الموت وأمام الجمهور تحفزهم على "المقاومة" ورفض ما يعيشون فيه من طغيان وفوضى وتدعوهم إلى التمتع بالحياة من حولهم(سارتر، 1967 ، 108-109):

إلكترا: "ما أجمل الجو في كل بقعة من بقاع السهل ، يحيا أناس آمنون يرفعون إلى السماء رؤوسهم ، قائلين ، والبشر ينير وجوههم: "ما أجمل الجو!" وأنتم يا جلادي أنفسكم ، أنسيتم هذا البشر المتواضع ، بشر الفلاح يمشي على الأرض

ويقول" "ما أجمل الجو!"؟ ها أنتم أولاء مغلولي الذراعين ، مطأطئ الرءوس تكادون أن تمسكوا أنفاسكم عن الخروج.

لصقت بكم أمواتكم ، فظللتم جامدين مكانكم تخافون أن يتساقطوا لدى أيسر حركاتكم. وهذا ما ينغص حياتكم ؛ أحق أما أقول؟ لو مد أحدكم يده فأحس نفحة من بخار ندى لظنها روح أبيه أو أحد أسلافه. انظروا إلى طليقة الذراعين فسيحة النفس ، أتمطى كمن يستيقظ من نومه ، واشغل مكاني تحت الشمس ، كل مكاني تحت الشمس. أرأيتم أن السماء قد خرت على رأسي؟ ها أنذى أرقص وأتمادى في الرقص ، فلا أحس غير النسيم يهب فيداعب شعري ، فأين الموتى؟ أتتوهمون أنهم يرقصون معي على نغمة الموسيقى؟"

وإلكترا تمتلك يقينا يدلل على كذب وزيف ما ترى أمامها في يوم عيد الموتى فهي تأمل في لحظات يعود فيها الجمهور بوعيه ليدرك أن الحياة دون حرية لن يعيش فيها ويشعر بالأمان ، ولا تصح أن تكون حياة. والخلاص يكمن في استردادهم لوعيهم من قاع الوهم ، وكأن سارتر يقرر أن الشعب له دور كبير فيما هو عليه من مآسي وعليه دور كبير أيضا في تخليص نفسه من الظلم والقهر في وجود منظم لهذه المقاومة في ظل سيادة مشتركة كما الم البحث سابقا في فكر سارتر عن الزعيم.

وسارتر في هذا الموقف يحاول أن يضع الإنسان ودوافعه موضع الاختبار وفي ضوء الحقيقة ، والحقيقة وحدها ، فهو يحاول إفراغ يقين الإنسان من المعتقدات الوهمية والتقليدية التي تعود عليها ليلتمس عند نفسه العون.

وهذه قيمة مهمة تستطيع التربية غرسها في النشء وتجرده من عوامل وهنه لتدفع به إلى مواجهة ذاته والحياة.

حـ- القِصاص لتحقيق العدل والكرامة:

وتصل مسرحية الذباب لنهايتها المقدر لها أن تحدث بإختيارمقاومة الطغاة بالانتقام والقصاص منهم فقتل أورست الملك وأمه الخائنة مغتصبي عرش أبيه أجاممنون ، حيث تشاركه أخته إلكترا من خلال تشجيعها له وحثه على الثأر(سارتر، 1967 ، 154):

إلكترا: "(وهى تندفع نحو الباب) أطعنه. لاتتح له فرصة الصياح ، سأحكم إغلاق الباب.

إيجست: أهو أنت يا أورست؟

أورست: أدفع عن نفسك.

إيجست: لن أدفع عن نفسي ، فقد فات أوان الاستغاثة وأنى لسعيد أن فات أوانها ، لن أدفع عن نفسي ، لأني أريد أن تبوء بإثمي.

أورست: حسن جدا لست أبالى بالوسيلة ، فلأدع إذن من أهل الفيلة (يطعنه بسيفه).

إيجست: (مترنحا) ، لم تخطئ مرماك. (متعلقا بأورست دعني أتأملك ، أفي الحق أنك معصوم من الندم).

أورست: الندم؟ ولماذا هذا الندم؟ إنما صنعت ما هو عدل.

إيجست: العدل ما رأى جوبيتر. لقد كنت مختبئا هنا وسمعت ما قال.

obeikan.com

أورست: ما بال جوبيتر وبالى؟ العدالة من شئون البشر، ولست في حاجة إلى إله ليلقني ذلك، العدل أن تسحق أيها الداعر، والعدل تخليص أهل أرجوس من سلطانك، والعدل أن يرد إليهم شعورهم بالكرامة.

إيجست: أواه! أشعر بالألم.

إلكترا: ها هو شاحب الوجه، يا للهول! ما أقبح إنسان يموت!

أورست: كفي عن الكلام، ولا يحملن إلى قبره إلا ذكرى ابتهاجنا.

في الحوار السابق يقدم سارتر درسا "تربويا" مهما يتمثل في الانحياز لتحقيق العدل ورد الكرامة للآخرين، ورفع الظلم عن المظلومين، وكشف الطغاة وإلحاق القصاص بهم، ودفع المتلقي إلى استخلاص الدروس التي تصل إليه وأن يكون حر الاختيار.

إن اختراع إيجست للعيد السنوي للموتى، كان بهدف أن يظل الخوف مسيطرا على أبناء أرجوس، وبموت الملك ينتهي هذا الخوف. ومن ثم فإن أهل أرجوس يتحملون عبء خطيئتهم الأولى وعبء عدم ثورتهم على مقتل أجاممنون كما أننا سوف نشاهد رحيل أرويست عن المدينة، بعد التخلص من أيجست وأمه وهذا بعكس ما كان متوقعا من أن يستولى أورست على السلطة بعد التخلص من الحاكم الطاغية.

وبعد مقتل الملك نجد أورست يتجه إلى مخدع الملكة ويدور الحوار التالي بينه وبين أخته إلكترا(سارتر، 1967 ، 156):

إلكترا: "لم يبق في طوقها الآن أن تسئ إلينا.

أورست: لم أعد أعرفك، فما كنت تتكلمين هكذا منذ قليل.

إلكترا: وأنا أيضا لم أعد أعرفك يا أرويست.

أورست: حسن سأذهب وحدي."يخرج"

إلكترا يتوزعها القلق على مقتل أمها ، فهي تريد ذلك ، وما زالت تريده (سارتر، 1967 ، 157):

إلكترا: (وحدها). أتراها ستستغيث؟ (هنيهة ترهف آذانها). ها هو ذا يسير في الممر، وعندما يفتح رابع الأبواب... آه! أنا التي أردت ذلك ، ولا أزال أريده ويجب أن أستمر في إرادته (تتأمل إيجست) أما هذا فقد مات".

ويتداعى قتل الأم عن لسان إلكترا(سارتر، 1967 ، 158):

إلكترا: "... ماذا كنت أريد إذن؟ (سكوت ثم صياح من كليتمنستر) لقد طعنها ، إنها أمنا وقد طعنها (تنهض) هكذا: فقد مات عدواي ، بعد أن استمتعت سنين طوالا بلذة هذا الموت بعد وقوعه".

وتأخذ المسرحية شكلها النهائي الذي يتصاعد في حساب ومعاقبة أورست وإلكترا لارتكاب أورست جريمة القتل ومحاولة إلكترا الندم على تشجيعها له ثم تأتي "ربات الانتقام" وهن الإيرنياب ويقول لويس عوض في مقدمة ترجمته الأورستية "الجزء الثالث ، الصافحات: "إن الإيرينات في أساطير اليونان وفي ديانتها القديمة ، هن "ربات الانتقام" ، وقد كانت وظيفتهن الأساسية الاقتصاص من الآثمين ، ولاسيما من يجنون على الأقرباء من ذوى الأصلاب والأرحام"(إسخيلوس ، 1968 ، 5).

لذلك نجد ربات العقاب يطاردن أورست بلا هوادة بقصد تدميره عقابًا له على جرمه العظيم ، وهو قتل أمه كليتمنستر.

ولكن "الإيرينيات" في الصافحات قد حولهن إسخيلوس بعبقريته وفلسفته العميقة من رسل الجحيم إلى هيئة رسل الغفران ، أو من زبانية إلى ملائكة رحمة والأصل كما يلقبن كذلك في اليونان القديمة بالصافحات أو المريدات خيرا ، وهو من أسماء الأضداد اتقاء لغضبهن(إسخيلوس ، 1968 ، 11).

ولكن نرى "الإيرينيات" في الذباب هن "ربات الانتقام" كما يشير هذا الحوار: "أورست ، إلكترا نائمان بجوار معبد أبوللو بعد حدوث الجريمة" (سارتر 1967 ، 164):

الإيرينة الأولى: ها ها ها! لقد نمت واقفة مستوية في مكاني من أثر الغضب وحلمت أحلاما هائلة مثيرة ، يا زهرة الغضب الهائج الجميلة ، أيتها الزهرة الحمراء في قلبي! (تدور حول أورست ، وإلكترا) إنهما نائمان.

وتواصل الإيرينة الأولى حديثها بشأن إلكترا(سارتر، 1967 ، 165):

الإيرينة الأولى: ها هي ذي تئن. صبرا ، فستعرفين آلام نهشنا وستعولين تحت مداعبة مخالبنا.

وتتناوب الإيرينات في محاكمة أورست(سارتر، 1967 ، 166-172):

الإيرينة الثانية: "رأيت في المنام أنى أنشب أضراسي.

الإيرينة الثالثة: ها ها ها أريد أن أنشب مخالبي.

الإيرينات: (ضاحكات صائحات): يا جلاد! يا جلاد! يا جزار!"

ثم أنتهى الأمر بطلب إلكترا الغوث من جوبيتر هاربة عدوا من شر الذباب وشر أخيها وشر نفسها(سارتر، 1967 ، 191):

إلكترا: "مخاطبة أورست" ، لا أريد الآن أن أصغى إليك فإنك لا تجر على إلا التعاسة ، ولا تقدم لي إلا الاشمئزاز ، (تقفز على المسرح الإيرينات يقتربن ببطء) واغوثاه يا جوبيتر يا مليك الإلهة والناس ، يا مليكي خذني بين ذراعيك أحمني وسأتبع قانونك".

إلى أن تنتهي المسرحية بخروج أورست (والإيرينات يندفعن في أثره معولات). وذلك بعد مواجهته الجمهور الذي وصفه بالكافر والقاتل والجزار وحاول أورست إلى إقناعهم بأن ما فعله كان من أجلهم هم وذلك لنزع الخوف من قلوبهم وهو لا يريد أن يكون ملكا عليهم بل يريد أن يكون لا أرض له ، ولا رعايا (سارتر 1967 ، 199):

أورست: "أريد أن أكون ملكا لا أرض له ولا رعايا ، وداعا أيها الناس وحاولوا أن تحيوا: فكل ما هنا جديد ، وكل شيء قد بدأ منذ اليوم فحسب. وحياتي أيضا قد بدأت".

وينتهي الأمر بمغادرة أورست ليبقى الجمهور أمام تقرير مصيره بنفسه ويكون حر الاختيار ، دون أن يقدم له حلول جاهزة يضعها بين يديه. وقد يرجع هذا إلى نظرة سارتر إلى المسرح ، " لا يكتب أدبا دعائيا بل يرفض دائما فكرة المسرح الذي يحاول أن يدافع عن أيديولوجيا معينة ، وإثبات شيء ما ، أو الذي ينحاز فيه المؤلف لفكره ما"(أسعد ، 1987 ، 247). ويكتفي سارتر بطرح المشاكل بدلا من حلها... ويرى أن المتلقي ، لا المؤلف ، هو الذي يجب أن ينحاز لفكرة ما وحدد ماذا سيفعل ليقرر حريته بذاته. **بالتالي كان هناك بعض النقاط لابد من إيضاحها كما يلي:**

• غياب الجانب العاطفي مع (الأم) وهذا يدل على غياب الحوار بينهما والذي يعكس العلاقة الصارمة التي يجب أن تكون بين أعضاء حركة المقاومة والخائنين من الفرنسيين فمقتل أيجست وكليتمنستر هو الفعل الذي يختار به ذاته.

• استلهم سارتر الأسطورة وعالج تحت ستارها ، أحداث وموضوعات ترتبط بالأحداث الراهنة فمسمى المسرحية نفسه (الذباب) يرمز للذل والإهانة والذنوب في مدينة أرجوس (رمز لفرنسا المحتلة).

• كانت نهاية المسرحية مفتوحة... حتى يضع المتلقي لها النهاية بنفسه ويستخلص النتائج بنفسه ويعى ما عليه من فعل. "فالخاتمة المفتوحة للمسرحية جعلت منها مسرحية نضالية ، ففعل أورست أشاع الاضطراب في نفوس سكان أرجوس ، لكن عليهم وحدهم تقع مسئولية الوعى بنتائج هذا الفعل... وعلى المتفرجين أن يحذوا حذوهم "(أسعد ، 1987 ، 253). وقد استخدم سارتر القبح والرموز البائسة في المسرحية كمحاكاة للأوضاع السيئة.

• انتهت المسرحية برحيل أورست ودعوته للناس بأن يقدموا فعلا حقيقيًا حتى يحيوا مجددًا على أرض المدينة ، ولكن وهم أحرارا.

نقائض تربية المقاومة عند سارتر:

رغم قوة ونفاذ فكر"سارتر"في ملامسته للحياة الإنسانية في كثير من المواضع وتأكيده على حرية الإنسان ومسئوليته تجاه ذاته والعالم من خلال وعيه. ورغم تفوق هذا الفكر وانتشاره وتأثيره العالمي ؛ إلا أنه احتمل بعض النقائض خاصة فيما يتعلق بتربية المقاومة ، **نذكر منها ما يلي:**

1- كان سارتر ينشد الحرية في كل أعماله ، ولم يكتف بالتنظير والتأسيس لها فلسفياً ، بل ناصر قضايا الحرية في العالم أجمع ؛ إلا أن الفكرة التي استند إليها في صياغته لحرية الإنسان كفيلسوف وجودي"أن وجود الإنسان سابق على ماهيته" وأن عليه وحده اختيار وتأكيد هذه الماهية ، جعلت حرية الإنسان حرية "مطلقة" والتي ارتبطت لديه برفضه "للألوهية" وهذا ما يصل بالإنسان إلى الفوضى والعبث ، الذي يرفضه العمل الحالي إذ يتنافى مع فكرة الحرية المنضبطة وتربية المقاومة التي تسمح للفرد تأكيد ذاته في إطار احترام حرية الآخر. حيث من الضروري أن يتساءل الإنسان أنه حر بالنسبة لمن؟ ، وما "حدود" حريته؟ وهذا يعني الالتزام تجاه حرية الآخر. فرؤية سارتر: "بأن الفرد لا يمكنه تأكيد ذاته عبر حريته في الجماعة ، لأنه حريته تعتبر حرية ثانوية في ظل هذه الجماعة ، وهذا يعني أن يكون "عبدًا" (علي والقفاش ، 2001 ، 25). تعني الخلل في العلاقة (الفرد/الجماعة) والذي يترتب عليه بالتالي عدم الالتزام ، والظلم والاستبداد والقهر الذي يسعى "سارتر" ذاته إلى "مقاومته". وتأسيسا على ما سبق يكون سارتر قد أغفل الأسس الاجتماعية للحرية مما يتناقض مع تربية المقاومة .

2- كانت لسارتر مواقفه الصريحة في مساندة كثير من الشعوب المضطهدة والوقوف بجانب قضايا العدل لمقاومة الظلم في العالم كله ؛ إلا أنه تخاذل أمام القضية الفلسطينية ولم يكن له موقف واضح كعادته ، بل أنه كان متعاطفا مع المسألة اليهودية واتضح ذلك من خلال بعض المقالات كمقال له بعنوان"حول المسألة اليهودية"واتضح كذلك من خلال بعض المواقف ، منها وقوفه بجانب إسرائيل في حرب أكتوبر 1973.

3- ثمة تناقض آخر في فكر سارتر، إذ يفرق بين الأدب والفن فيقول:"إن الأدب يلتزم أن يحمل رأيا ، ويعبر عن دلالة ويخدم قضية ، ويفصل الشعر عن مواكب الأدب ويضمه إلى الفنون إذ لا تقول شيئا عن الواقع ، وعن الحياة إنها أشياء مخلوقة لا مدلول لها ولا رأى فيها"(العالم ، 2010 ، 41). وهذا الفكر لدى سارتر يعبر عن تناقض في الواقع فالفن قادر كما الأدب على الارتقاء بمعرفة وقيم الإنسان وذوقه الجمالي ، وكل منهما خلق جديد يشير إلى وقائع وقضايا وأحداث الحياة ويدفع الإنسان في أحيانا كثيرة "لمقاومة" سلبيات الواقع ويحضه على امتلاك إرادة التغيير. كما أن الفن يلعب دوراً جوهرياً في امتلاك الفرد الوعي بالعالم المحيط ، ويقدم دوراً وسيطاً في التربية والتعليم بإعطائه الدلالات والمعاني التي تعبر عن الواقع بصور مختلفة تمزج بين الجمالي والفكري ومن ثم فإن الفن يوجهه فكر وخبرات ، ويحمل دلالات تخدم قضايا الإنسانية.

4- تأكيده على وجود معايير للالتزام وتلك المعايير تتطلب أن يكون متفق عليها مسبقاً ، وهو ما يتنافى مع فلسفته حيث يقرر أن الأخلاق وليدة الموقف والتجربة ، ومصدرها الإنسان نفسه في الموقف والخبرة المعاشة. من ثم ليست لها علاقة بالدين أو التاريخ أو الثوابت والمعايير المعدة مسبقاً. وهذا مما يتنافى مع فكرة الخصوصية الثقافية وثوابت الثقافة ، وفكرة الانتماء التي تدعم مقاومة الإنسان ، خاصة مقاومته ومناهضته للمحتل والتي من أجلها قدم سارتر مسرحية الذباب.

5- التناقض بين فكرة الالتزام والتمرد ، إذ يرى سارتر أن الحرية الحقيقية مجالها العمل والفعل في سياق تاريخي معين ، فهي ليست تصورات وتأملات

ذاتيـة. في ذات الوقـت الـذي يـرى فيـه العمـل الحـالي أن الالتـزام والتمـرد بُعـدان ضـروريان للحريـات ، ويمكـن حـل هـذا التنـاقض مـن خـلال التربيـة إذا اسـتهدفت الحرية "المنضبطة" التي تضع فيها حسابات الفرد مع الجماعة في الاعتبـار، كهدف لتربية المقاومة.

رغم ما نراه من نقائض لتربية المقاومة لدى سارتر، إلا أننا نرى في سارتر الفيلسوف والأديب المفكر الذي فتح بفكره آفاقًا رحبة أمام الإنسان سعيا لتأكيد حرية ووجوده في هذا الكون ، والدفاع عن حقوقه وهو ملتزماً ومسئولاً عن اختياراته وتبعاتها. وقدم من الآليات والوسائل للوصول إلى هذا الاختيار، كالاتساق بين الكلام والفعل ، وتحديد الأهداف (القصدية في الفعل) وغيرها من آليات ترسخ لتربية المقاومة لدى الإنسان حيث تدفعه للتفكير في أوضاعه ومحاولة اتخاذ القرار لتغيير واقعه وتقرير مصيره بنفسه. وهذا الأمر يبدو ناجعاً في مجتمعنا في حدود مراعاة الآخر وكذا مراعاة ثوابت الثقافة من دين ولغة وتاريخ وقيم.